# من ينقذ الإسلام من الأزمة

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

عكس التوتر الفرنسي العالي من أنشطة الجماعات والجمعيات الإسلامية في البلاد وجود أزمة ليس لدى فرنسا العلمانية التي يفترض أنها تقبل بتعدد الهويات الثقافية والدينية، ولكن أيضا، وهو المهم أن الإسلام في فرنسا لم يتحول إلى مشروع وطني فرنسي، بمعنى أنه لم ينجح في التعايش مع الدولة العلمانية التي تسمح بالاختلاف في حدود احترام مقوماتها، مثلما تسمح دول إسلامية بالحرية الدينية للمسيحيين أو اليهود، أو أديان أخرى لدى العمالة الوافدة، في حدود اجتماع صلاة أسبوعي سري ومغلق، وبعض الدول سمحت ببناء دور عبادة وإن كانت محدودة العدد.

وإذا كانت بعض دولنا تطبق أحكام الشريعة على الوافدين وتفرض حظرا على حرياتهم الخاصة خوفا من "عدوى" تمس قيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا القبلية، فكيف نطالب فرنسا بأن تفتح أبوابها واسعة أمام إمبراطورية الجمعيات والمنظمات الدعوية والخيرية دون أي مراقبة بزعم أن ذلك اختراق لقيم الحرية والعدالة والأخوة التي قامت عليها الثورة الفرنسية.

يجب أن نفصل بين الحق في العبادة وبين حرية الانتظام السياسي في صورة دعوية أو خيرية لأن ذلك ينتج ثقافة وتقاليد تتعارض مع قيم فرنسا ويستقوي بالتبرعات والهبات والنفوذ الخارجي لبناء مجتمعات مغلقة تعيش على المظلومية والرغبة في الانتقام والثأر من مجتمع احتضن الجالية الهاربة من الفقر والجوع والاستبداد.

**أوضاع المسلمين في الغرب لا يمكن تصويبها إلا بخلق هوية إسلامية محلية تؤمن بقيم الدولة المضيفة وفي نفس الوقت تتمتع بحقها في العبادة كجزء من الحريات التي يتمتع بها الغربيون**

لم تمنع فرنسا ولا دول أوروبية أخرى بناء المساجد وإطلاق الأذان في مجتمع "كافر" ولا الدروس التربوية والدعوية التي تجذب المهاجرين إلى هويتهم على أمل أن تساعدهم على تخطي الغربة والإحساس بأزمة الانتماء، ولكن ماذا تفعل فرنسا أو ألمانيا أو بلجيكا إذا كانت تلك المساجد قد غزاها دعاة التطرف وصاروا يبثون من خلالها خطابا متطرفا ليس فقط من خلال الدعوة إلى الانكماش والعزلة ومقاطعة مجتمع كان له فضل احتضانهم وتوفير حياة كريمة لهم، ولكن تحول بعضها إلى فضاء يستقطب الشباب للتطرف ويهيّئ لهم سبل اللحاق بالجماعات والشبكات الإرهابية التي تنفذ عمليات بدائية كذاك الذي دهس العشرات بشاحنة في برلين أو ذاك المهاجر الشيشاني الذي قطع رقبة أستاذ يدافع عن قيم الحرية في بلاده، حتى وإن كانت طريقته مستفزة.

إن التشدد الإسلامي لن يفضي إلا إلى تشدد مضاد، والدليل أن العمليات الإرهابية التي نفذها متطرفون إسلاميون في أوروبا قد ساهمت بشكل كبير في صعود اليمين الأوروبي ومواقفه العنصرية ضد المهاجرين ومطالبته بطردهم وتوطين الأوروبيين في الوظائف التي يشغلونها.

ولم يكن استهداف المساجد والمصلين في عمليات استعراضية مثلما جرى في نيوزيلندا ليكون لولا العمليات الاستعراضية التي نفذها متطرفون مسلمون جاؤوا إلى أوروبا بحثا عن الرزق وفرارا بجلودهم من بلدان فقيرة وفاسدة فحوّلتهم ماكينة الجمعيات الإسلامية إلى إرهابيين من خلال شحنهم بسرعة ضد الآخرين واستثمار اليأس من الحصول على وثائق أو نظرة احتقار لدى مشغل أو عابر سبيل لتحويل هؤلاء إلى قنابل موقوتة تسيء إلى الإسلام قبل غيره بأن تحوله إلى دين محرض على العنف والقتل.

كان على الذين هاجموا الرئيس الفرنسي حين قال إن الإسلام يعيش أزمة في العالم ككل، أن يفهموا سر هذا الكلام لرئيس دولة يمثل المسلمون نواة سكانية صلبة داخلها. هل كان ماكرون ليقول هذا الكلام لو لم تكن هناك تفجيرات واغتيالات وفتاوى إسلامية تبيح قتل "العدو" بما في ذلك المسلم الذي يصلي ويصوم فقط لأنه في الضفة المقابلة لـ"الفرقة الناجية".

وثقافة الفرقة الناجية موجودة لدى كل الحركات الإسلامية التي تعتقد أنها الأفضل والأمثل وغيرها على ضلال، فكيف أن بعض تلك الفرق الناجية القريبة، التي أمرت بسحل مسلمين وحرقهم وقتلهم أن تقنع الآخر الغربي بأن إسلامها دين تسامح واعتدال وعقلانية.

كيف يمكن أن يفهم المواطن الغربي تفجير البيوت واحتفال الناس بأعياد الفرح في بلدان آمنة مستقرة؟ هل سيقول إن الإسلام بريء أم إن الإسلام الذي يتبناه هؤلاء يكره الحياة ويمجد الموت. فأين توجد الأزمة في فرنسا التي فتحت المساجد ويسرت على الجالية أداء شعائرها في دولة علمانية يفترض أن تكون العبادة فيها أمرا فرديا خالصا، أم في التراث الفكري المتشدد الذي ما تزال تتبناه دول عربية وإسلامية وجماعات كبرى تقول إنها معتدلة فيما ميراثها الأدبي والتربوي والدعوي يحث على جهاد المختلف.

الأزمة هنا ليست سياسية، فلا يمكن تحميل المسؤولية لداعش أو القاعدة أو الإخوان أو الأزهر أو السعودية أو إيران، والنأي بالنفس عن إعادة قراءة مخزون إسلامي متراكم يقوم على نفي الآخر المختلف بما في ذلك داخل الفضاء الإسلامي.

إن داعش، كما القاعدة، سليلة تأويل فقهي إسلامي موغل في التشدد يقوم على التفاسير الحرفية والتأويلات المصلحية الخادمة للسلطة والدولة والجماعة، فمن يقدر على مقاربته ومراجعته في حركة فكرية فقهية جدية تضع خلفها حسابات السلطة والنفوذ..

مع ملاحظة مهمة، هنا، أن الفكر المتشدد الذي يتمدد في فرنسا انطلق من مساجد ترعاها وتنفق عليها دول شرق أوسطية كانت تعتقد أنه جزء من هويتها الوطنية ومدخل لبناء نفوذ وولاءات خارجية قبل أن تكتوي بحرائقه، لكنها، وإن كانت طوقته داخليا بالقبضة الأمنية والقانونية، لا تستطيع أن تتبرأ منه أو تسحبه وتعيد تشكيل صورتها كدول معتدلة.

وإذا كانت هذه الدول قد اكتشفت تهاوي نموذجها الديني الذي روجته لعقود، فكيف يمكن أن تساعد الغرب أو الشرق المتضرر على مواجهة التشدد؟ هل بالاستمرار في التبرؤ والنكران أم بخلق حوارات داخلية ودفع المؤسسة الدينية الماسكة بقبضتها الحديدية على التأويل والنصوص والشروح الفقهية إلى تسويق قراءة/ نموذج للمسلم في الغرب؛ حدود واجباته وحقوقه، وكيف يمكن بناء هوية وطنية للمسلم في فرنسا أو ألمانيا أو السويد أو بريطانيا التي تعامله كمواطن ويستمر بمعاملتها كملجأ مؤقت إما أن "يفتحه" ويحكمه، أو يغادره يوما ما.

إن المشكلة تقف عند هذا المفترق، إذ لا يمكن تصويب أوضاع المسلمين في الغرب سوى عبر خلق هوية إسلامية محلية تؤمن بقيم الدولة المضيفة وتدافع عنها وتؤمن بالانتماء إليها فتتحول إلى دولة أصلية ودائمة، وفي نفس الوقت تتمتع بحقها في العبادة كجزء من الحريات التي يتمتع بها الغربيون (حرية الرأي، والتدين..).

فهل يقدر المسلمون على مغادرة مربع الإسلام العابر للقارات والهويات وبناء ثقافة تؤمن بالهوية الوطنية التي يكون فيها الدين عاملا للانتماء لا هادما له؟

قد يكون الأمر صعبا بسبب ثقافة التمييز والعنصرية المستشرية في بعض البلدان، لكن توطين ثقافة الانتماء للدولة المضيفة سيكون مدخلا مهما لبناء الثقة مع الآخر المختلف الذي سيتطور مع الوقت سلوكا وثقافة في ظل قيم غربية تؤسس للمساواة.

# تغريدات سلمية

يوناتان غونين
مدير التواصل الاجتماعي بالعربية في الخارجية الإسرائيلية

حققت شبكات التواصل الاجتماعي طفرة نوعية في قدرة الناس على التواصل المشترك، وهو أمر متميز كبير الأهمية حين يدور الحديث حول جمهور الدول المتنازعة. لنأخذ مثلا مواطني العربية السعودية أو العراق أو تونس أو سوريا أو أي دولة عربية أخرى ممن لم يسبق لهم اللقاء أو تبادل الحديث مع مواطنين إسرائيليين، نراهم اليوم يتبادلون الحديث يوميا، سواء كان عبر تويتر أو إنستغرام أو فيسبوك، أوغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي.

هذا ما يحدث فعلا. وفي حالات عديدة يكون الخطاب المدني بين الأفراد قد بدأ قبل فترة طويلة من بلوغ الاتصالات بين حكومتي الدولتين المتنازعتين مرحلة التعاون العلني والتطبيع. ويمكن مشاهدة ذلك بوضوح شديد عند النظر إلى اتفاقات "أبراهام" المعقودة بين إسرائيل وكل من دولة الإمارات والبحرين، إذ أن مواطني الأطراف الثلاثة باشروا الحوار المشترك قبل شهور عديدة من إعلان التوصل إلى اتفاقية سلمية، وذلك على الشبكات الاجتماعية، ومن خلال تبادل المشاركات والتعليقات على فيسبوك.

**من دواعي السرور في عهد يسمح بالاتصال مع أي كان مشاهدة داعمي التسامح والتفاهم والسلام على صفحات التواصل الاجتماعي بعد أن تعرضت صورتها للتشويه طوال سنين بدعوى أنها منبر لنشر الأكاذيب**

وهناك محاولات لتعلم اللغتين العربية والعبرية بالتعاون بين الطرفين، وتبادل وصفات الأكل والحكايات المضحكة، والاستماع إلى أغاني الطرف الآخر، وتأديتها أحيانا، بل امتدت أحاديثهم إلى قضايا وأمور أكثر حساسية، وهم بذلك قد خاضوا كفاحا ضد الصور النمطية الرائجة عند الطرف الآخر حول دولتهم، والأهم من ذلك كله أنهم تعلموا ثقافة الآخر ومميزات بلده.

وعلى ضوء ذلك، ليس مستغربا أن يثير إعلان السلام هذا الحجم من الفرحة الغامرة، عند متابعي تويتر وفيسبوك وإنستغرام، من أبناء الطرفين، الذين ساهم بعضهم، وبمجرد نشاطه، عبر شبكات التواصل الاجتماعي في تآلف القلوب، بل الأكثر من ذلك أن هذا السلام بات يسمى في معظم الأحيان "سلام الشعوب".

لقد باتت ممكنة اليوم مشاهدة العديد من الإسرائيليين وهم يغردون باللغة العربية، بينما يغرد سكان من الدول العربية باللغة العبرية، في الوقت الذي يتآلف فيه جمهور الطرفين. رغم ذلك لا يجوز الاعتقاد بأننا بصدد اتجاه جديد نشأ بين عشية وضحاها، فقد تعاظمت هذه الظاهرة خلال السنتين الأخيرتين، إذ أمضى العديد من الناس وقتا طويلا في تذليل حاجز الخوف ومباشرة الحديث مع مواطني طرف النزاع الآخر.

لقد قال المفكر رالف والدو إمرسون "افعل دائما ما تخاف أن تفعله"، وفعلا بات عدد متزايد من الناس سواء في إسرائيل أو في الدول العربية، ومن ضمنهم من تحلوا بقدر كبير من الجرأة، يستفيدون من وفرة الإمكانات التي تتيحها الشبكات الاجتماعية؛ يتبادلون الحديث مع الطرف الآخر، وينفتحون على ثقافة جديدة في تناول الطعام والاستماع إلى الموسيقى والاستمتاع بالفن، وكذلك مشاهدة المسلسلات التلفزيونية، ومنها مسلسل "فوضى" الإسرائيلي، الذي اكتسب جمهورا كبيرا من المتابعين في عدد غير قليل من الدول العربية. كما أنهم يتبادلون التهاني في الأعياد الدينية والوطنية، ويرفع بعضهم أعلام الطرف الآخر، معبرين عن أملهم في لقاء شخصي مباشر.

ومن أفضل الأمثلة على ذلك العراق والمغرب، حيث يعيش في إسرائيل يهود كثيرون ينحدرون من هاتين الدولتين، بل ظل الجزء الأكبر منهم متمسكا بثقافة بلده الأصلي، وهم شديدو الرغبة في التحاور مع سكان العراق والمغرب.

وقد تأسست على فيسبوك، في السنين الأخيرة، مجموعات متعددة تسمح لأبناء الطرفين بتبادل الحديث بشكل مباشر حول مواضيع شتى تجمع بينهم. ومن هذه المجموعات مجموعة على فيسبوك يبلغ عدد أعضائها الـ70 ألفا تقريبا، والمسماة "نحافظ على اللغة العراقية". ويدور على صفحات المجموعة حديث دائم بين سكان العراق من جهة واليهود المنحدرين من أصل عراقي من جهة ثانية.

كما أن هناك مدونة يطلق عليها "مسعودة" تابعة لمواطنة إسرائيلية من أصل مغربي تدور ضمنها الأحاديث بين الإسرائيليين والمغاربة حول وصفات الأطعمة والشؤون الثقافية، ولكن ثمة أيضا دولا أخرى ومن بينها السعودية التي يمكن ملاحظة أعداد متزايدة من مواطنيها وهم يتجرؤون على الكشف عن هوياتهم وتوجيه رسائل التصالح باللغة العبرية إلى الجمهور الإسرائيلي.

ومن دواعي السرور في هذا العهد، الذي يسمح بالاتصال مع أي كان خلال ثوان، مشاهدة الناس من داعمي التسامح والتفاهم والسلام على صفحات الشبكات الاجتماعية، بعد أن كانت صورة هذه الشبكات تتعرض للتشويه طوال سنين بدعوى أنها أصبحت منبرا لنشر الأكاذيب والتحريض وزرع التناقض بين الأصدقاء وبين المتابعين وبين الواقع الذي يعيشونه، أضف إلى ذلك استغلال الجماعات الإرهابية لها لتحقيق مآربها.

كل إنسان بإمكانه اختيار الطريقة التي يستخدم بها الشبكات الاجتماعية، وهو قادر بكبسة زر على توجيه الشتائم والسباب إلى الطرف الآخر للنزاع، أو على محاولة أيجاد حوار بناء معه.

يقول المثل "لسانك حصانك، إن صنته صانك وإن خنته خانك"، ولعله يجوز لنا أن نقول "لوحة مفاتيحك حصانك إن صنتها صانتك وإن خنتها خانتك".

# إيران.. والإصرار على «تأزيم العراق»

محمد خلفان الصوافي
كاتب إماراتي

تثبت الأحداث الميدانية الجارية خلال هذه الأيام أن النظام السياسي الإيراني مصمم على "تأزيم" المجتمع العراقي وربما تدميره وذلك من خلال خلق فوضى سياسية وطائفية تقوم بالوكالة عنها الميليشيات الموالية لها، والتي تقدر حسب البيانات المتداولة بأكثر من أربعين فصيلا.

هذا التصميم أو الإصرار الملفت لم يأت دون إدراك ووعي من قيادة النظام الإيراني، على مدى أربعة عقود، لما يعنيه وجود عراق قوي في جواره الجغرافي، ولذلك كانت حرب 2003 فرصة مواتية لإضعافه. فالحقيقة الثابتة أن الموقف الإيراني من إضعاف العراق ناتج عن تقييم موضوعي سياسي واستراتيجي من أعلى دوائر صنع القرار. ورغم أنه ممسك بأربع عواصم عربية وهي، دمشق، وبيروت، وصنعاء إلا أن الخناق على بغداد أكبر وأشد.

بل إن طريقة إدارة الفوضى في العراق تختلف عن العواصم الأخرى، ففي حين نجد ذلك في العواصم الثلاث يتم عن طريق ميليشيا وحيدة مثل حزب الله في لبنان وسوريا، والحوثي في اليمن، نجد أنه في العراق مبني على توزيع الأدوار بين الميليشيات، حيث تجد هناك من يصعد، وهناك من "يحاول" أن يبدو إعلاميا أنه يدعو للحفاظ على العراق.

الشيء الواضح أن هناك سياسة عدوانية إيرانية تتولاها الميليشيات العراقية ضد كل المحاولات والجهود الداخلية والدولية التي يقوم بها رئيس الحكومة الحالي مصطفى الكاظمي، منذ وصوله للسلطة قبل خمسة أشهر، من أجل إعادة هيبة الدولة العراقية عن طريق السيطرة على السلاح المنفلت لدى الميليشيات والعشائر وعودة العراق إلى لعب دوره الحضاري والإنساني.

أغلب تصريحات الكاظمي حول السياسة الخارجية، إن لم تكن كلها، مركز على إقامة علاقات متوازنة مع الجميع بما فيها إيران، لأنها دولة جارة وترتبط بعلاقات تاريخية وثقافية مع العراق، ولكن الغطرسة الفارسية أفقدت قادة إيران الرؤية لتحقيق مصالح شعبهم وجوارهم الجغرافي.

لا يخفى على أحد أن العراق بعد عام 2003 أصبح بمثابة "حديقة خلفية" لإيران، يقوم قادة الحرس الثوري وأذرعهم الطائفية بفعل ما تريده طهران منهم، ليبدو الأمر وكأن مصير العراق والعراقيين تحت رحمة السياسات الإيرانية. وللأسف، كل ذلك يتم بمساعدة من بعض العراقيين ممن قبلوا أن يكونوا تابعين لإيران.

إن الجريمة الإنسانية التي حدثت في محافظة صلاح الدين، مؤخرا، والتي راح ضحيتها ثمانية عراقيين واختفى إثرها أربعة آخرون، وتمت من قبل إحدى الميليشيات الطائفية، هي رسالة إلى حكومة الكاظمي وإنذار بعدم تخطي المصالح الإيرانية في العراق، حتى لو كان الهدف استعادة هيبة الدولة العراقية، وإعادة المهجرين والنازحين من مواطنيه، الذين غادروا قهرا لأسباب طائفية، إلى مناطقهم الأصلية.

الخناق الإيراني للعراق شمل كل مفاصل الدولة وهذا شيء مؤسف ولم يقتصر على السياسة فقط، بل الاقتصاد الإيراني الذي يواجه عقوبات دولية يتنفس من "الرئة العراقية"؛ حيث أن الصادرات الإيرانية تجد رواجها في السوق العراقي، كما أن الشركات الفاعلة والنشطة في العراق إما أنها إيرانية، مثل شركة الطاقة، أو لا بد أن تلقى قبولا من النظام الإيراني.

هذا المشهد جعل العراق يبدو وكأنه مجرد عمق استراتيجي لإيران، لذا نجد العراق هو الساحة التي يقاتل فيها الإيرانيون أعداءهم ومنافسيهم، بل إننا نجد أن هذا النظام يكشر عن أنيابه السياسية البغيضة في وجه أي سياسي أو إنسان وطني يعمل على أن يكون العراق دولة ذات سيادة، كما يحدث مع الكاظمي حاليا، الشخص الذي يبذل جهدا لاستعادة العراق.

الشعب العراقي حدد منهجه في استرجاع دولته المختطفة من خلال الثورة الوطنية التي تحتفل في الخامس والعشرين من أكتوبر الحالي بمرور عام على قيامها، ويبقى على الآخرين من الدول العربية استلهام الفكرة لمعرفة أسلوب تعامل النظام الإيراني مع العرب، عندما يقررون الانفكاك عن إيران أو الابتعاد عن سيطرتها. إصرار إيران على تأزيم الوضع في العراق دليل لما يحمله هذا النظام من نوايا ضد الدول العربية، فهي لا تخرج عن أن تكون أوراقا سياسية للتفاوض مع الآخرين.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk